الفصل الثانى
صلة الرحم وإكرام الجار

أولاً : صلة الرحم :

كما أوجب الإسلام بر الوالدين أوجب صلة الرحم ، فقال تعالى :

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١).

ويقول تعالى فى حديث قدسى : « أنا الله ، وأنا الرحمن ، وقد اشتققت للرَّحِمِ اسمًا مِن اسْمِى ، فَمَنْ وصَلَهَا وصَلْتُهُ ، ومَنْ قَطَعَها قَطَعْتُهُ » (٢).

وصور رسول الله ﷺ هذه الصلة ومبلغ قيمتها عند الله تعالى ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى خَلَقَ الخَلْقَ حتى إذا فرغ منهم قَامَت الرَّحِمُ فقالت : هَذَا مَقَامُ العائذِ بِكَ مِنَ القطيعة . قال : نَعَمْ ، أما تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ من وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَك ؟ قالت : بَلَى . قال : فَذَلِكَ لَكِ » .

وفى رواية للبخارى : فقال تعالى : « مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُه ومَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُه » .

ثم قال رسول الله ﷺ : اقرءوا إنْ شئتم :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (٣).

وقال ﷺ :

---

(١) سورة النساء ـ من الآية الأولى .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذى .

(٣) سورة محمد ـ الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ . والحديث متفق عليه (رياض الصالحين) .

« الرحم متعلقة بالعرش تقول : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ الله ، ومَنْ قَطَعَنِي قطعه الله »(١).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَن أحَبَّ أن يبسط الله له فى رزقه ، وأنْ يَمُدَّ له فى أجله ، فليبرَّ والديه ، وليصل رحمه » (٢).

وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الصَّدقَة وصِلَة الرَّحِم يزيد الله بهما فى العمر ، ويدفع بهما منية السوء ، ويدفع بهما المكروه والمحذور » (٣).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو ليصمت » (٤).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله ليعمر بالقوم الديار ، ويثمر لهم الأموال ، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضًا لهم . قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : بِصِلَتِهِم الرَّحِمَ » (٥).

وعن أبى محمد بن جبير بن مطعم ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَدْخُل الجنة قاطعٌ » قال سفيان فى رواية : « يعنى : قاطع رَحِمٍ » (٦).

وليست صلة الرحم الواجبة أن يكافىء القريب قريبه صِلَةً بصلة ، وإحسانًا بإحسان ، فهذا أمر طبيعى مفروض ، إنما الواحب أنْ يَصِلَ ذوِى رَحِمِه وإنْ هَجَرُوهُ ، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ، رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ ، قال : « ليس االواصل بالمُكافِىء ، ولكنَّ الواصِلَ الذى إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وصَلَهَا » (٧).

---

(١) متفق عليه .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه أبو على .
(٤) رواه الشيخان .
(٥) رواه الطبرانى والحاكم .
(٦) متفق عليه .
(٧) رواه البخارى ـ رياض الصالحين .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه حاسَبَهُ الله حسابًا يسيرًا ، وأدخله الجنة برحمته ، قالوا : وما هى يا رسول الله بأبى أنت وأمى ؟ قال : تُعْطِى مَنْ حَرَمَك ، وتصل مَنْ قَطَعَك ، وتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمك ، فإذا فَعَلْتَ ذلك يُدخلك الله الجنة » (١).

وعن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : تحلمُ على مَنْ جَهِلَ عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حَرَمَكَ ، وتَصِلُ مَنْ قطعك » (٢).

ومن أهم مظاهر صلة الرحم فى الأسرة ما يجب على الزوجة من أن تُحْسِنَ معاشرة أهل الزوج : والده ، ووالدته ، وإخوته ، وأخواته ، وأن تكون علاقتها معهم علاقة احترام ومَوَدَّة وحُب ، كما يجب عليها أن تصل بقية رحم زوجها ، وتصل رحمها . قال ﷺ : « مَنْ كانَ يؤمن بالله واليومِ الآخِر فَلْيَصِلْ رَحِمَه » . وقال ﷺ : « صِلُوا أرْحَامكم ولو بالسلام » .

وعن عبدالله بن سلام رضى الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يأيها الناس ، أفشوا السَّلامَ ، وصِلُوا الأرْحَام ، وأطْعِمُوا الطَّعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » (٣).

وعن على بن الحسين رضى الله عنهما ، أنه قال لولده : يا بُنَىَّ ، لا تصحبنَّ قاطِعَ رَحِم ، فإنِّى وجدتُه فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع فى قوله تعالى :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ (٤).

وكان رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه المثَل الأعلى فى صِلة الرحم ، كما كان

---

(١) رواه الطبرانى ، والحاكم .

(٢) رواه البزار ، والطبرانى .

(٣) أخرجه الترمذى ، وصححه .

(٤) سورة محمد الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

المثل الأعلى والقدوة الحسنة فى كل شىء . فعندما رجع الرسول ﷺ من الغار إلى بيته بعد أن فَاجَأَهُ الوحى فى غار حراء ، رجع يرجُف فؤادُه . وبعد أن زَمَّلَتْهُ السيدةُ خديجة وذهب عنه الروع قال لها : « لقد خشيتُ على نَفْسِى » ، فتقول له السيدة خديجة بملء فيها ، مُقْسِمة على ما تقول : « كَلاَّ والله ما يخزيك الله أبدًا » . . لماذا ؟ لقد عَلَّلَتْ ذلك قائلة : « إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتكْسِبُ المعدومَ ، وتَقْرِى الضَّيْفَ ، وتعين على نوائب الحق . » ويُعَدُّ هذا قانونًا له مقدماته وله نتائجه .

أما مقدماته : فإنها تتبلور فى كلمة الرحمة مبتدئة بصِلَة الرحم ، وأما نتائجه : فإنها تتبلور فى عدم الخِزْيِ فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . وكيف لا : « والراحمون ، يرحمهم الرحمٰن » و « ارحموا مَنْ فى الأرض يرحمكم من فى السماء » و « ولا تُنْزَعُ الرحمة إلاَّ من قَلْب شقى » .

وإذا كان الله عز وجل قد أمرنا بصلة الرحم من ذوى القرابة وإيتائهم حَقَّهُمْ ، فلأنهم أولى الناس بالمعروف ، قال عليه الصلاة والسلام : « الصَّدَقَةُ على المسكين صَدَقَةٌ ، وعلى ذِى الرَّحمِ ثِنْتَانِ : صِلَةٌ وصَدَقَة » .

وليس معنى هذا أنَّ ذوى القرابة هم المُخَصَّصُون بالصِّلَةِ ، بل هُمْ أَوْلَى الناس بالصلة ؛ لأن هناك رحمًا عامَّة ، هم كل من يقول لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وهؤلاء لهم حقوق على كل مسلم ومسلمة . كأنْ يعوده إذا مَرِضَ ، ويشيعه إذا مات ، ويسلم عليه إذا مَرَّ به ؛ وينصحه إذا استنصحه . ويجيبه إذا دعاه ، ويفرح له إن كان فى سَرَّاء ، ويحزن من أجله إنْ كان فى ضَرَّاء .

وهناك صِلة إنسانية أوسع دائرة ، تربط الإنسان مع غيره من الناس رباطًا يقوم على العدل والإنصاف بدون ظلم أو اعتداء .

حيث يقول الله تعالى :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة الممتحنة الآية : ٨ .

إنما ينهانا الله عن ثلاث رذائل ، هى : الفحشاء ، والمنكر ، والبغى .

فالفحشاء و إيتاء ذى القربى أمران متقابلان لا يلتقيان .

والمنكر والإحسان ضدان لا يلتقيان .

والبغى والعدل نقيضان لا يجتمعان .

حيث يقول عز وجل :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

الرحمة العامة :

الرحمة العامة رحمة الله التى وَسِعَتْ كل شىء ، والتى يقول الله تعالى عنها :

﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٢).

الرحمة العامة التى يقول رسول الله ﷺ عنها ، فيما يرويه عن رب العِزَّة عز وجل : «يا بْنَ آدَم مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِى ! » قال : يارَبِّ ، كيفَ أعُودُكَ وأنت رَبُّ العالمين قال : أمَا عَلِمْتَ أنَّ عبدى فلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟ أما علمت أنك لو عُدْتَهُ لوجدتنى عنده؟ يا بنَ آدم : اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطعِمْنِى . قال : يارب كيف أطْعِمُكَ وأنت ربُّ العالمين؟ قال : أما عَلِمْتَ أنه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِى فُلانٌ فلم تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يا بن آدم اسْتَسْقَيْتُكَ فلم تَسْقِنِى . قال : يارب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاكَ عبدى فلان فلم تَسْقِهِ ، أمَا عَلِمْتَ أنك لو سقيتَه لَوَجَدْتَ ذلك عندى ؟ » (٣).

---

(١) سورة النحل ـ الآية ٩٠ .

(٢) سورة الأعراف ـ من الآية ١٥٦ ،

(٣) رواه مسلم .

تلك هى مظاهر الرحمة العامة وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

الصلة لله والهجر لله :

ويعلمنا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، أن تكون الصِلة لله ، والهجر لله ؛ لذلك فإنه يجب ألا يكون هناك هجران ومقاطعة إلا إذا كانت لله ، وفى الله ، وغضبًا للحق ، فإنَّ أَوْثَقَ عُرَا الإيمان الحبُّ لله ، والبغض لله . وفى الحديث القدسى يقول رب العزة عز وجل : « إنى لأهمُّ بأهلِ الأرض عذابًا ، فإذا نظرتُ إلى عُمَّارِ بيوتى والمُتَحابِّينَ لَأَجْلِي صَرَفْتُ عنهم ذلك » .

ويوم تُنْشَرُ الصَّحُف يقول الله تعالى يوم القيامة : « أين المُتحابُّون فِيَّ ؟ أين عُمَّار بيوتى فى الأرض ؟ اليوم أُظِلُّهُم بِظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي » (١).

وقال ﷺ : « إنَّ من عباد الله أُناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطُهم الأنبياءُ والشهداء لمكانِهم من الله عز وجل » قيل : يا رسول الله ، مَنْ هُمْ ؟ وما هى علامتهم حتى نحبهم ونقتدى بهم ؟ قال الرسول : « هم قومٌ تَحَابُّوا فى الله ، لاعَلَى أرحام بينهم وأنساب ، ولا على أموال يتعاطونها . والله إن وجوههم لنورٌ ، وإنهم لعَلَى منابر مِنْ نُورٍ ، لا يخافون إذَا خَافَ الناسُ . ولا يحزنون إذا حَزِنَ الناس » ثم تلا قوله تعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢).

ويقول النبى ﷺ عن السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل العرش ، يومَ لا ظِلَّ إلا ظله : « رَجُلاَنِ تَحَابَّا فى الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه . . » الحديث (٣).

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

(٢) سورة يونس ـ الآيات من ٦٢ ـ ٦٤ .

(٣) رواه الشيخان عن أبى هريرة .

وقال ﷺ : « أَوْثَقُ عُرَا الإيمان : الموالاة فى الله ، والمعاداة فى الله ، والحب فى الله ، والبغض فى الله »[1].

وقال ﷺ : « مَنْ أحَبَّ لله ، وأبغض له ، وأعطَى ومنع له ، فقد استكمل الإيمان »[2].

وأخرج أحمد عن أبى ذرٍّ رضى الله عنه ، قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : «أتدرون أى الأعمال أحبّ إلى الله ؟ قال : إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الحب لله والبغض له » .

وأخرج أبو داود عن أنس رضى الله عنه ، أن رجلا كان عند النبى ﷺ ، فَمَرَّ رجل فقال : يا رسول الله ، إنى لأحب هذا . فقال له ﷺ : أعْلِمْهُ . فقال له : إنى أحبك فى الله . قال : أحَبَّكَ الذى أحْبَبْتَنِى له »[3].

إن ما كان لله دامَ واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل . ومن دعاء النبى ﷺ « اللهم إنى أسألُك حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يُحِبك ، والعمل الذى يبلغنى حبك » .

ومن أمثلة الهجر والقطيعة لله هجر النبى ﷺ لنسائه شهرًا هجرًا لله ، وغضبة للحق ، وزجرًا لهن وتأديبًا .

وكذلك هجر النبى ﷺ وأصحابه للثلاثة الذين خُلِّفُوا عن رسول الله فى غزوة تَبُوكَ . قال كعب : « نَهَى النبىُّ ﷺ المسلمين عن كلامنا وذَكَر خمسين ليلة »[4].

هجر النبى ﷺ وأصحابه ـ للثلاثة الذين خُلِّفُوا :

الثلاثة الذين خُلفوا فى غزوة تبوك (العُسْرَة) آخر غزوة من غزوات الرسول ﷺ ونعرض ملخصًا لقصتهم : بعد فتح مكة ، وبعد تصفية جيوب الوثنية والشرك فى حُنَيْن فى السنة الثامنة للهجرة ، عاد الرسول ﷺ فى شهر ربيع الأول من السنة التاسعة

---

(١) رواه الطبرانى عن ابن عباس .
(٢) رواه مسلم .
(٣) مجمع الفوائد ج ٢ ص ١٤٧ .
(٤) رواه البخارى .

للهجرة إلى المدينة المنورة ، كوعده للأنصار ، وليصفى جيوب اليهود ، ويقضى على المنافقين ، وبرغم أن غزوة خيبر فى السنة السابعة للهجرة كانت الجولة الحاسمة للإسلام فى الجبهة اليهودية فإنها خلفت وراءها سُموم النفاقِ ، ودسّ الإسرائيليات على تفسير القرآن الكريم . وفى مستهل رجب من السنة التاسعة أمر المصطفى ﷺ أن يتهيئوا للخروج معه مجاهدين إلى تبوك .

وكانت غزوة تبوك امتحانًا قاسيًا لإيمان المسلمين المؤمنين ، وفاضحة لزيف المنافقين، حيث جَمع رأسُ المنافقين عبدالله بن أُبَىّ بْنِ سَلُول حشدًا من شيعته ، وتظاهَرَ بالخروج مع المجاهدين ، ولكنه تخاذَلَ عن ذلك فى محاولة لإضعاف جيش المسلمين وتحطيمه ، ونزلت آيات سورة التوبة فاضحة لزيف المنافقين ، وكاشفة لكل أقنعة النفاق ، فقال تعالى :

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾(١).

وهكذا فضح القرآن الكريم المنافقين ، حتى يتم تطهير المجتمع الإسلامى منهم . وكما كانت غزوة تبوك فاضحة لزيف المنافقين وخداعهم وتضليلهم ، كانت أيضًا اختبارًا قاسيًا لقوة إيمان المسلمين ، وكان المُخَلَّفُونَ بضعًا وثمانين رجلاً ، فطفقوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ ويحلفون له ، فقبل رسول الله منهم علانيتهم ، وبايعهم ، واستغفر لهم . أمَّا الثلاثةُ الذين خُلِّفُوا ـ وهم : كعب بن مالك الأنصارى ، وهلال ابن أمية الواقفى ، ومُرارة بن الربيع العامرى ـ فقد صَدَقُوا الرسول فى أنهم لم يكن لهم

(١) سورة التوبة ـ الآيتان : ٤٧ ، ٤٨ .

عُذْرٌ فى التخلف عن الغزوة ، فهَجَرَهُم النبى ﷺ وأصحابه ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، ولم يكن أحَدٌ يُجالِسُهم أو يُكلمهم ، أو يحييهم ، حتى أنزل الله تعالى فى كتابه العزيز توبته عليهم بعد خمسين ليلة من مقاطعتهم ، فقال تعالى :

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١).

وهكذا يوضح لنا رسولنا الكريم ﷺ أن تكون الصِلَةُ لله ، وأن يكون الهجر والقطيعة لله ، وغضبًا للحق .

ومما هو جدير بالذكر أن كعبَ بن مالك ـ أحد الثلاثة الذين خُلفوا ـ هو أحد ثلاثة شعراء من الأنصار اشتهر أمرهم ، والشاعران الآخران هما حَسَّان بن ثابت ، وعبدالله ابن رواحة ، وقد سرد كعب نثرًا شعريًا فى حديث توبته ، قال عنه ابن حجر : « وتخلف فى تبوك ، وهو أحد الثلاثة الذين تِيبَ عليهم ، وقد ساق قصته فى ذلك سياقًا رائعًا » .

ثانيا : رابطة الإيمان أقوى من رابطة النسب :

١ـ مصعب بن عمير وأخوه أبو عزيز :

نموذج رائع من صحابة رسول الله يوضح لنا عظمة وقوة أخوة الدين والعقيدة ، وكيف تعلو على أُخوة القرابة والدم . . . إنه مصعب بن عمير كان فى جيش رسول الله فى بدر ، وأخوه من أبيه أبو عزيز بن عمير فى جيش المشركين ، وانتصر المسلمون ، ووقع أبو عزيز أسيرًا ، فقال لِمَنْ أسَرَهُ : مُرَّ بى على أخى مصعب ، فلعله إنْ رآنى أسيرًا يكون شفيعًا فى إطلاق سراحى . فما كان من مُصعب بن عمير إلاَّ أن قالَ لآسِرِه : أُشُدُدْ يدَكَ به ، فإنَّ أمه ذات مالٍ كثير ، ولن تضنَّ فى فدائه بشىء منه . فقال أبو عزيز

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ١١٨ .

« لأخيه مصعب : أهذه شفاعتك يا أخى ؟ قال مصعب : لقد فرقت العقيدة بينى وبينك ، فالذى أسَرَكَ هو أخى دُونَك .

٢ـ نوح وابنه :

ويوضح لنا القرآن الكريم أن رابطة الإيمان أقوى من رابطة النسب فى قصة نوح مع ابنه . اتجه نوح إلى الله راجيًا متضرعًا مستعطفًا ، قائلا :

﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾(١).

وقول نوح عليه السلام : ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ إنما هو إشارة إلى وعد الله بنجاته ونجاة أهله معه . . وفَهِمَ نوحٌ أنَّ أهله إنما هم أهله من النسب ، وعَزب عنه فى تلك الساعة وهو يرى ابنه يوشك على الغرق أن الله استثنى من أهله « من سبق عليه القول منهم » أى : من لم يهتد بنور الله ، فكان فى سابِق عِلمِ الله من الهالكين المُغْرَقِين .

وعزب عنه شىء آخر ، هو أن أهل الرسول إنما هم المهتدون بِهَدْيِهِ ، أما مَنْ لم يؤمن ولم يتبع هَدْىَ الرسول فإنه ليس من أهله . ولقد نبهه الله سبحانه إلى ذلك فقال له : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ . وعلل الله سبحانه ذلك بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ على أنه لا يكفى أن يكون الصاحب صالحًا قانتًا مصليًّا ، ولا أن يكون مثقفًا ذَكِيًّا عبقريًّا ، بل ينبغى أن يجمع بين فضيلة الصلاح والتقوى ، وفضيلة النضج العقلى والوعى الاجتماعى والفهم الإسلامى ، حتى يكون رفيقا سويًا ، وصاحبًا ناضجًا تقيًّا .

ومن طريف ما يُرْوَى فى هذا الشأن أنه جاء إلى الخليفة عمر بن الخطاب رَجُلٌ يشهد لرجل آخر ، فقال له عمر : أتعرف هذا الرجل ؟ فأجابَ : نعم . قال : هل أنت جاره الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ فأجاب الرجل : لا . قال عمر : هل صاحَبْتَهُ فى السفر الذى تعرف به مكارم الأخلاق ؟ فأجاب الرجل : لا . قال عمر : هل عاملته بالدينار والدرهم الذى يُعرف به وَرَعُ الرجل ؟ فأجاب الرجل : لا . فقال له عمر :

---

(١) سورة هود ـ من الآية ٤٥ .

لعلك رأيته قائمًا قاعدًا يصلى فى المسجد يرفع رأسه تارةً ويخفضها تارة . فرد الرجل : نعم . فقال عمر : اذهبْ فإنك لا تعرفه . وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة : « إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

وهكذا يوضح لنا القرآن الكريم أن رابطة الدين والإيمان أقوى من رابطة النسب[1].

٣ ـ عبدالله بن عبدالله بن أبَىٍّ ، وأبوه :

فى غزوة بنى المصطلق سنة ست من الهجرة ، وبينما رسول الله ﷺ على ماءٍ بعد الغزو، وردتْ واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بنى غفار يقال له جَهْجَاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه مع سنان بن وبر الجُهَنىّ ، حليف بنى عون من الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجُهَنِىُّ يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا مَعْشَرَ المهاجرين . فغضب عبدالله بن أُبَىٍّ بن سَلُول . وقال : قد نَافَرُونَا وكَاثَرُونَا فى بلادنا ، والله ما عُدْنَا وجلابيب[2] قريش إلاَّ كما قال الأول : « سَمِّن كَلْبَك يأكلك» ، أما والله لئن رْجَعْنَا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ، ويقول الله تعالى فى ذلك :

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وتطورت الأمور ، وكادت تحدث فتنة عاصفة ، وغضب رسول الله ﷺ . .

ويأتى عبدالله (بن عبدالله بن أبىٍّ) رضى الله عنه ، وهو نموذج رفيع للمسلم المتجرد ، الطائع لله وللرسول ، ويقول : « يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أُبَىّ فِيمَا بَلَغَكَ عنه ، فإنْ كُنْتَ لابد فاعلاً فَمُرْنِي بِهِ ، فَأَنَا أَحْمِلُ إليكَ رَأْسَهُ ، فوالله لقد عَلِمَتِ الخَزْرَجُ ما كان لها من رجل أبرَّ بوالِدِه منى ، وإنى أخشى أن تأمر

(١) مع الرسل والأنبياء للدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) الجلابيب : اسم كان المنافقون يطلقونه على المهاجرين .

(٣) سورة « المنافقون » ـ الآية الثامنة .

يرى فيقتله فلا تَدَعُنِي نَفْسِي أنظر إلى قاتلِ عبدالله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله ، فَأَقْتُلُ مؤمنًا بكافر فأدخل النار » فقال له الرسول ﷺ : « بل نترفقُ به ونُحْسِنُ صُحْبَتَهُ ما بَقِىَ معنا » .

ولما قفل الناس راجعين إلى المدينة ، وقف عبدالله بن عبدالله بن أُبيٍّ على باب المدينة واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبدالله بن أُبَىٍّ قال له ابنه : وَراءَكَ ! فقال : مابك ؟ ويلك ! فقال : والله لا تَجُوزُ من ها هنا حتى يَأْذَنَ لَكَ رسولُ الله ﷺ ، فإنَّهُ العَزِيزُ وأنتَ الذَّلِيلُ . فلما جاء رسول الله ﷺ فشكا إليه عبدالله بن أُبَىٍّ ابنه ، فقال ابنه عبدالله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تَأْذَنَ له ، فَأَذِنَ له رسول الله ﷺ ، فقال : أما إذْ أَذِنَ لَكَ رسول الله ﷺ فَجُزِ الآنَ .

ويثبت الابنُ التقيُّ الوَرِعُ لأبيه المنافق بالتجربة الواقعة مَنْ هو الأعَزُّ ، ومن هو الأذَلُّ فى نفس الواقعة ، وفى ذات الأوان . إنها لَرَوْعَةُ الإيمان فى قلب ذلك الابن وهو يعرض على رسول الله بأنْ يَكِلَ إليه أشقَّ عمل على النفس البشرية ، وهو أن يقتل أباه المنافق ، وهو صادق النية فيما يعرض رغم ما يكنه له من بِرٍّ غامر ، وعطف كاملٍ ، ولكنه الإيمان الكامل ، والصلة الخالصة لله ولرسوله .

ويمسح الرسول الكريم الحَرَج عن نفس الابن المؤمن المتحرج فى سَمَاحَةٍ وكرامة بقوله ـ صلوات الله وسلامه عليه : « بَلْ نَتَرَفَّقُ به ونُحسن صحبته ما بقى معنا » .

وبعد : فهذا نموذج كريم ومثال رائع يوضح لنا عظمة الإيمان الذى رفع أولئك الرجال إلى هذه القمة ، وهم بعد بشر ، بهم ضعف البشر ، وخوالج البشر ، وهذا هو أجمل وأصدق ما فى هذه العقيدة حين يدركها الناس على حقيقتها ، وحين يُقدرون معنى الإيمان ، ويقدرون التَّبِعَاتِ التى يلقيها على عاتقهم وجودهم الإنسانى الصحيح .

إنها نفوس خلصت لله وتجردت مِمَّا عداه ، ومع ذلك لم تَمُتْ فيها المشاعر الإنسانية ، والعواطف البشرية ، ولكنها ارتفعت وصفت من الشوائب ، ثم بقيت لها طبيعتها البشرية الحلوة ، ولم يَعُقْ هذه النفوس عن الارتفاع إلى أقصى درجات الكمال المقدر للإنسان بوصفه خليفة الله فى أرضه .

٤ ـ من أحب لله أحبه الله :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ : « إن رجلاً زار أخًا له فى قرية أخرى ، فأرصد الله له على مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخًا لى فى هذه القرية . قال : هل لَكَ من نعمة تربها (أتيتَ إليه بسببها) ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله عز وجل . قال : فإنى رسول الله إليك ، أُخبرك بأن الله قد أَحَبَّكَ كما أحببته فيه » .

وحديث رسول الله ﷺ :

« الناسُ معادن ، خِيارُهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » .

يعنى هذا : أن كل امرىء يتصرف بما طُبِعَ عليه . فالإنسان حَسَنُ المعدنِ ، كَريمُ الأصل يلتزم المروءة ويتحرى الخير والبر والإحسان دائمًا ، فإذا لينَ الله قلبه بالإيمان الكامل ، وعمره بالعلم النافع ، كان خَيْرَ الناس .

ثالثا : إكرام الجار :

وكما أوجب الإسلامُ بِرَّ الوالدين وصلة الرحم أَوْجَبَ إكرام الجار وبِرَّه ، وأوصانا الرسول الكريم بالجار وأوضح لنا حقوقه ، فقال ﷺ : « الجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق ، وجار له حقان ، وجار له حق واحد . فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق الرحم . أما الجار الذى له حقان . فهو الجار المسلم ، له حق الجوار وحق الإسلام . وأما الجار الذى له حق واحد فهو الجار المشرك » .

إلى هذا الحد تبلغ سماحة الإسلام وعظمته ، فيثبت النبى ﷺ حقًّا للمشرك بمجرد أنه جار ، وقال ﷺ : « أَحْسِنْ مُجاورَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا » فيوضح لنا الرسول ﷺ أن من الصفات الأساسية للمسلم والمسلمة أيضًا إحسان مجاورة الجار . ويقول الرسول ﷺ أيضًا : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرِمْ جارَه » وفى رواية : « فليُحْسِنْ إلى جاره » ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « مازالَ جبريلُ يُوصِينى بالجار حتى ظننتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ » .

وجاء رجل إلى ابن مسعود رضى الله عنه وقال : « إن لى جارًا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على » . فقال له ابن مسعود : « اذهبْ فإنَّهُ عَصَى الله فيك فَأَطِع الله فيه » . ولا يكفى احتمال الأذى ، بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف ، إذ يُقال : إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول : « يارَبِّ سَلْ هذا : لِمَ مَنَعَنِى معروفه ، وسَدَّ بابه دونى ؟ » .

ومن واجب الجار على جاره تفقيهه وتعليمه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر : فقد روَى الطبرانى فى الكبير عن علقمة ، عن أبيه ، عن جده قال : خطَبَ رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائفَ من المسلمين خيرًا ، ثم قال : « ما بالُ أقوام لا يُفَقِّهُونَ جِيرانَهُم ولا يُعَلِّمُونَهُم ، ولا يَعظُونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ؟ . وماَبال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأُعَاجِلَنَّهمُ العقوبة .

وروى ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ كَتَم علمًا مما ينفع الله به الناس فى أمْر الدِّينِ أَلْجَمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : « إذَا أمكنك امرؤ من أن تُسدى فضلا إليه كان فضله عليك أكبر » .

وقال ﷺ : « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » أى : غوائله وشروره . وقيل لرسول الله : « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها ، فقال : هى فى النار»[1].

وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، مرفوعًا : أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ماحق الجار ؟ إذا استعان بك أَعَنْتَهُ ، وإذا استقرضك أقْرَضْتَهُ ، وإنْ أصابه خير هَنَّأْتَهُ ، وإنْ أصابته مصيبة عَزَّيْتَهُ » [2].

---

(١) كشف الغمة للشعرانى ج ٢ ـ باب حقوق الجار .
(٢) الجامع الكبير .

وقال ﷺ : « ما آمَنَ بى مَنْ باتَ شبعانَ وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به »[1].

كما روى الطبرانى فى الأوسط عن عمر رضى الله عنه مرفوعًا : « أفضل الأعمال إدخالُ السرور على المؤمن : كَسَوْتَ عَوْرَتَهُ ، أو أشبعْتَ جوعته ، أو قَضَيْتَ له حاجة» .

وروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من كان معه فَضْلُ ظِهْرٍ (أى : مركوب) فَلْيَعُدْ به عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ له ، ومن كان له فضل زادٍ فليعد به على من لا زاد له . فذكر رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذكره ، حتى رأينا أنه لا حَقَّ لأحد منا فى فضل » .

وروى البخارى عن عبد الرحمٰن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، أن أصحابَ الصُّفَّةِ كانوا أناسًا فقراء ، وأن رسول الله ﷺ قال : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يَظْلِمُه ، ولا يُسْلِمُه ، ولا يَخْذُله ، ولا يحقره . بحَسْبِ امرىءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كُلُّ المُسْلِم عَلَى المُسلم حرامٌ : دَمُه ، ومالُه ، وعِرْضُه . التقوى هَاهُنَا . (ثلاث مرات) وأشار إلى صَدْرِه ، صلوات الله وسلامه عليه »[2].

فعلينا أن نتصور المجتمع الإسلامى وفيه البيت المسلم ، وفيه الزوجة المسلمة المؤمنة التى تؤدى واجبها نحو زوجها سكنًا ومودة ورحمة ، وتؤدى واجبها نحو أولادها وحَفَدَتِها تربية وتثقيفًا ، وحنانًا وحُبًّا ، وتبر والديها ، وتصل رحمها ورحم زوجها .

البيت المسلم الذى يُكرِمُ فيه الضيف ، ويُحسن فيه معاملة الخدم .

البيت المسلم الذى يحسن صاحبه المجاورة ، ويؤدى حق الجار إذا تحقق هذا فسيرفرف على هذا المجتمع الرضا والرضوان من رب العالمين ، ورسوله الأمين ، صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) رواه البزار والطبرانى .

(٢) رواه مسلم .

الخاتمـــة

أمل ورجاء :

وبعد ، فهذه لمحات مما جاء بكتاب الله عز وجل وسُنَّة رسوله ﷺ مِنْ تكريم وتبجيل وتقدير وحقوق كاملة فى كافة مجالات الحياة للمرأة المسلمة ، وحتى تكون المرأة المسلمة أهلاً لكل هذا التقدير والتكريم ، وحتى تكون أهلاً للتمتع بهذه الحقوق عليها أن تؤدى واجبها كاملاً ، التزامًا بكل ما جاء بكتاب الله وسُنة رسوله ، أمرًا ونَهْيًا . فإن قامت المرأة بكل ما وجب عليها كان لها حق التمتع بجميع ما لها من حقوق . وإنْ أهْدَرَتْ واجباتها وأهملت بعضها كان من حق المجتمع أن يمنعها حقوقها حتى تؤدى ما عليها . فلا ينبغى أن نهمل التعادل بين الحقوق والواجبات . فلو طغت الحقوق على الواجبات أو الواجبات على الحقوق لتعرض المجتمع لشرٍّ مُستطير ، وأخطار خُلقية جسيمة .

هذه لمحات مِمَّا أحَلَّهُ الله للمرأة المسلمة وما حَرَّمه عليها .

أسأل الله أن يَهْدِى لها ، وأن يهدى بها ، وأن يفتح لها قلوبًا ، ويرشد بها عقولا .

إنَّ حكمة الحلال والحرام أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يُرِدْ أن يضيق على المرأة المسلمة أو على الناس كافة بما حَرَّمَ ، وإنما شرع لهم ما يصلحهم ويحفظ عليهم دينهم ودنياهم ، ويصون أنفسهم وعقولهم وأخلاقهم وأعراضهم وأموالهم وكيانهم الإنسانى كله ، أفرادًا وجماعات ، إكرامًا لهم .

فإن التشريعات الوضعية مهما حوت ومهما اشتملت فهى تشريعات قاصرة وناقصة ؛ لأنها تهتم أكثر ما تهتم بالمصالح المادية ، ولا تهتم بمقتضيات الدين والأخلاق والروحانيات .

إن واضعى التشريعات البشرية هم البشر . فيهم ضعف الإنسان وقصوره وشهواته، وصدق الله العظيم حيث يقول وصفًا للإنسان :

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ لأن الذين يُقَنِّنُونَ للنفس البشرية لا يعرفون كل أسرارها وملكاتها حتى الآن . فالنفس الإنسانية ليست بطنًا ومعدة فقط ، وليست عقلا يعى ويفهم فقط ، وليست وجدانًا فقط ، إنها ملكات متعددة .

فالذى يحدث أنهم يُقَننون للملكات التى يعرفونها ، ويتركون الملكات الأخرى النفسية جائعة ، مما يتسبب عنه أن يحدث للإنسان التمزق والقلق النفسى .

فقد اعتبروا النظام الاقتصادى المادى هو أساس كل شىء فى الدنيا .

ولكن ما يحدث الآن فى السويد ـ التى تمثل أعلى مستوى رفاهية للأفراد ، وأعلى مستوى للدخول فى العالم ـ من كثرة الانتحارات ، وانتشار الأمراض النفسية والعصبية ما يثبت فشل نظريتهم فى اعتبار النظام الاقتصادى هو كل شىء فى الدنيا .

لماذا ؟ لأنهم أشبعوا الملكات المادية على حساب الملكات الروحية الجائعة التى لم يقننوا لها ، حتى وإنْ قَنَّنُوا لها فتقنين الجاهل بمكنوناتها وخباياها .

فالله سبحانه وتعالى هو الذى خلق النفس البشرية ، وهو الذى يُقنن لها ، وأرسل سبحانه الرسل لتنظيم حركة حياة وصيانة الإنسان فى مختلف الاتجاهات الاقتصادية والسياسية والعملية والاجتماعية والخُلقية والتعبدية .

وحين يلتزم الإنسان ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ بما شرعه الله ، وبما قننه الله ، سيخلص باطنه وظاهره ، وتصدق شهادته بأن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله .

لأن تشريع الله هو تشريع الخالق ، العليم الخبير بخلقه ، وما يصلح لهم وما يصلحون له ، فالله سبحانه وتعالى : ﴿ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ . علم الصانع بما يصنع ، وصدق الله العظيم : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ .

إنه تشريع إلٰه حكيم ، لا يحرم شيئًا عبثًا ، ولا يحل شيئًا جُزافًا ، فكل شيء خَلَقَهُ بِقَدَر ، وكل شيء شرعه بميزان .

إنه تشريع رَبٍّ رحيم ، يريد بعباده اليُسْر ولا يريد بهم العُسْر :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ .

إنه تشريع إلٰه قادر غنى عن عباده ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ . إنه سبحانه وتعالى القائل فى حديث قدسى :

« يا عبادى ، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُم وإِنْسَكُم وجِنَّكُم كانوا على أَتْقَى قلبِ رَجُلٍ واحدٍ منكم ، مازاد ذلك فى مُلْكِى شيئًا . يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أَفْجَرِ قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا » .

هذا ما شرعه الله عز وجل للمرأة المسلمة ، فعليها أن تؤمن به علمًا وعملاً ، وأن تتقبله بعقل مِلْؤُه الاقتناع ، وقلب ملؤه الرضا واليقين ، وإرادة كلها تصميم على التنفيذ ، وإيمان كامل بأن سعادتها وسعادة أسرتها ومجتمعها فى الحياة الدنيا وفلاحها فى الآخرة موقوفان على رعايتها لحدود الله فيما أَمَرَ ونَهَى ، وما أَحَلَّ وحَرَّم ، فلابد أن تأخذ نفسها بالوقوف عند هذه الحدود لتفوز بالسعادتين ، وتفلح فى الدارين .

فالإيمان ليس معرفة وحسب ، فإبليس كان يعرف أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وأن عيسى وموسى وبقية الأنبياء رسل الله ، ومعرفته بهذه المسائل هى من القوة والثبات بحيث تزيد على معرفة كثير من المؤمنين ، ولكنه مع ذلك مطرود من رحمة الله ، لأنه أَبَى واستكبر .

ذلك أن الإيمان ليس معرفة فحسب ، إنما هو خشوع وخضوع لله عز وجل ، وهو سجود القلب والجوارح لله ، استجابة لما أَمَرَ به وما نهى عنه عز وجل .

ويقول الإمام ابن القيم الجوزية فى كتابه (زاد المعاد) : « ومن تأمل ما فى السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة ، وأنه صادق ، فلم تُدْخلهم هذه الشهادة فى الإسلام ـ عَلِمَ أن الإسلام أمر وراء ذلك ، وأنه

ليس مجرد المعرفة فقط ، ولا المعرفة والإقرار فقط ، بل المعرفة والإقرار والانقياد ، والتزام طاعته ودينه ظاهرًا وباطنًا »

أيتها الأخت المسلمة :

يا مَنْ رضيتِ بالله تعالى ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولا ، إن الإيمان الصادق هو الالتجاء إلى الله تعالى . التسليم المُطْلَق لما قضَى رسوله ﷺ ، وإيثار تحكيمه صلوات الله وسلامه عليه فيما أشكل من أمور ديننا ودنيانا .

هذا الإيمان الصادق الذى يذوق معه العبد حلاوة الإيمان ، ويغمر قلبه برد الرضا وسلامة التسليم .

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول :

« ذاق طعم الإيمان مَنْ رَضِى بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولا » .

إن الرضا بالله تعالى يعنى ألاَّ نَطْلُبَ غير الله تعالى ، وألاَّ نَسْعَى فى طريقٍ غير طريق الإسلام ، وألاَّ نسلك إلا ما يوافق شريعة رسول الإسلام .

ويقول القاضى عياض :

« من رضى بالله تعالى ربًّا رِضًا عن يقين وصِدْقٍ يكون قد صَحَّ إيمانه ، واطمأنت به نفسه ، وخَامَرَ باطنه ؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل على ثبوت معرفته ، ونقاء بصيرته ، ومخالطة الإيمان بشاشة قلبه . ومن لم يكن كذلك لايجد حلاوة الإيمان ، ولا يدرك مذاقه ، وإنما يكون صورة لا روح فيها ، وظاهرًا لا باطن له ، ومرتسمًا لا حقيقه تحته » .

إن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تنعم بملذات المعانى كما تنعم النفوس بملذات الأطعمة . مَنْ رَضِىَ بالله تعالى ربًّا ذاق طعم الإيمان ؛ لأنه لمَّا رَضِىَ بالله ربًّا استسلم له ، وانقاد لحكمه ، وألقى قياده إليه سبحانه خارجًا عن تدبيره واختياره إلى حسن تدبير الله واختياره ، فوجد لذة العيش ، وراحة التفويض .

ومن رضى بالله تعالى ربًّا كان له الرضا من الله تعالى لقوله عز وجل :

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ .

وإذا رضى الله على عبده أوجد الله حلاوة ذلك الرضا فى قلب عبده ؛ ليعلم ما مَنَّ به الله عليه ، وليعلم إحسان الله إليه .

ولا يكون الرضا بالله إلا مع الفهم ، ولا يكون الفهم إلا مع النور ، ولا يكون النور إلا مع الدنو ، ولا يكون الدنو إلا مع العناية .

فلما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن .

فلما وصله أنوار الله وأمداده صَفَا قلبه من الأمراض والأسقام ، وكان سليمَ الإدراك ، فأدرك لذاذة الإيمان وحلاوته ، لصحة إدراكه ولسلامة ذوقه .

ومن يسقم قلبه بالغفلة عن الله ـ والعياذ بالله ـ لا يدرك لذة الإيمان ، فإذا زال سقم قلبه أدرك حلاوة الإيمان ولذاذة الطاعة ، فيغتبط بها ، ويحاول المحافظة على هذه المنة من الله ، فيبعد عن الميل للذنوب ولا يتطلع إليها ؛ لأنه ليس كل متطلع تاركًا ، ولا كل تارك غير متطلع ؛ لأن نور البصيرة يدل على أن مخالفة الله والغفلة عنه سم للقلوب ، فتنفر عنه قلوب المؤمنين .

ومن رَضِيَ بالإسلام دينًا فقد رَضِيَ بما رَضِيَ به الله عز وجل لقوله تعالى :

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .

ومن رَضِيَ بالإسلام دينًا فعليه أنْ يمتثل لأوامره وينتهى عن نواهيه .

ومن رَضِيَ بمحمد رسولا يلزم أن يكون محمد ﷺ له وليًّا ، وأن يتأدب بآدابه ، وأن يتخلق بأخلاقه ، ويحقق اتباعه لرسول الله ﷺ قولاً وفعلاً ، وأخذًا وتركًا ، وحُبًّا وبغضًا ، وظاهرًا وباطنًا . فرسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة . إنه الأسوة الحسنة فى أقواله وأفعاله وأحواله . يقول عز وجل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

ويقول الشيخ الصاوى فى شرحه على تفسير الجلالين : الاقتداء برسول الله ﷺ

واجب فى الأقوال والأفعال والأحوال ؛ لأنه لا ينطق عن هوى ، ولا يفعل عن هوى ، بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه عز وجل ؛ لذلك قال العابد :

وخَصَّكَ بالهُدَى فى كل أمـــرٍ فلسْتَ تَشاءُ إلا ما يشـــاء

والله سبحانه وتعالى يقول فى سورة النجم مؤكداً ما يقول ، بل ومقيماً عليه الحُجة والبرهان : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ .

إنَّ اتباع سنة رسولنا الكريم ﷺ قولاً وفعلاً أساس من أسس العقيدة والإيمان الصحيح ، كما أن هناك ربطًا محكمًا بين محبة الله سبحانه واتباع رسول الله ﷺ .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وهذا الربط معناه الربط بين محبة الله تعالى والعمل . ومقدمات محبة الله هى العمل . ونتيجة محبة الله تعالى هى العمل . وروى أن أناسًا قالوا على عهد رسول الله ﷺ : « يا رسول الله ، إنَّا نحب ربنا حبًّا شديدًا » فجعل الله تعالى لمحبته علمًا ، وأنزل عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

فمن صدق المحبة اتباع رسول الله ﷺ فى هَدْيه وزهده وأخلاقه ، والتأسى به فى الأمور كلها ، والإعراض عن الدنيا وزهرتها وبهجتها ، فإن الله عز وجل جعل محمدًا رسول الله ﷺ علمًا ودليلا وحُجة على أمته .

أيتها الأخت المسلمة :

إذا كنتِ صادقةً مع نفسك فى حب الله فلتلتزمى بسُنة رسول الله ، وتهتدى بهديه فيما أمر وفيما نَهى ، فمن صدق المحبة لله تعالى إيثار محبة الله عز وجل فى جميع الأمور على نفسك وهواكِ ، وأن تبتدئى فى الأمور كلها بأمره سبحانه قبل أمْرِ نفسك ، فعندما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان قال : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

وفى حديث آخر : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحَبَّ إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين » .

ومن أجمل تعبيرات المحبين عن شعورهم ما يقوله يحيى بن معاذ :

« إلٰهى ، إنى مقيم بفنائك ، مشغول بثنائك ، صغيرًا أخَذْتَنى إليك ، وسربلتنى بمعرفتك ، وأمكنتنى من لطفك ، ونقلتنى فى الأحوال ، وقلبتنى فى الأعمال سترًا وتوبة ، وزهدًا وشوقًا ، ورضًا وحُبًّا ، تسقينى من حِيَاضِكَ ، وتمهلنى فى رياضك ، ملازمًا لأمرك ، ومشغولا بقولك ، فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرًا ، وقد اعتدتُ هذا منك صغيرًا ، فلى ما بقيت حولك دندنة ، وبالضراعة إليك همهمة ؛ لأنى محب ، وكل محب بحبيبه مشغوف ، ومن غير حبيبه مصروف » .

وتأتى المحبة نتيجة الهمة ، والهمة هى التشمير والجد فى العبادة ، وإنَّ مَنْ قَلَّتْ هِمَّتُهُ ضعفت محبته . فمع الهمة إذن ـ صعودًا وهبوطًا ـ تكون المحبة صعودًا وهبوطًا .

كَفَى حَزَنًا بالواله الصَّبِّ أن يَرَى ... مَنازِلَ مَنْ يَهوى مُعْطلَة قَفْرَا

قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أَمْرِهِ تعالى وأمْرِ رسوله ﷺ . فليس لمؤمن أن يختار شيئًا بعد أمره ﷺ إذا أمر، فأمره حَتْمٌ .

وفى قوله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ : قَسَمٌ من الله تعالى على أنهم لا يصيرون موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط :

أولها : ﴿ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ : وهذا يدل على أن من لم

يرضَ بحكم رسول الله ﷺ ، ومن لم يستعن بِحُكْمِ رسول الله ﷺ فيما اختلف فيه لا يكون مؤمنًا .

وثانيها : ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ :

يقول الزَّجَّاجُ فى هذه الآية الكريمة : « أى : لا تضيق صدورهم من أقضية رسول الله ﷺ ، والراضى بحكم الرسول ﷺ قد يكون راضيًا به فى الظاهر دون القلب . فبيَّن سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة أنه لابد من حصول الرضا به فى القلب . وإذا كان ميل القلب ونفرته شيئًا خارجًا عن وسع البشر ، فليس هذا هو المراد من هذه الآية الكريمة ، وإنما المراد أن يحصل الجزم واليقين فى القلب بأنَّ الذى يحكم به الرسول ﷺ هو الحق والصدق .

وثالثها : ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

بين الله عز وجل أنه إذا كان لابد فى الإيمان من حصول اليقين فى القلب بأنَّ حُكم الرسول ﷺ حقٌّ وصدقٌ ، وهو الانقياد فى الباطن ، فإنه لابد أيضًا من التسليم فى الظاهر ، وهو المقصود من قوله تعالى : ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ : والانقياد فى الباطن والتسليم فى الظاهر واجبٌ كل مسلم ومسلمة .

قال جعفر الصادق رضى الله عنه :

« لو أن قومًا عبدوا الله تعالى ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصاموا رمضان ، وحجوا البيت ، ثم قالوا لشىء فعله رسول الله ﷺ : هَلاَّ فَعَلَ خلافَ ما فعل . . أو وجدوا فى أنفسهم حرجًا لكانوا مشركين » .

ثم تلا قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

ففى هذه الآية الكريمة دلالة على أن الإيمان الحقيقى لا يحصل إلا لِمَنْ رَضِىَ حُكْمَ الله وحكم رسول الله ﷺ على نفسه قولاً وفعلاً ، وأَخْذًا وتركًا ، وحُبًّا وبغضًا ، ويشمل ذلك :

ـ أحكام التكليف بالامتثال لأمره ونهيه عز وجل .

ـ وأحكام التصريف بالاستسلام لقهره سبحانه وتعالى .

وإنه لا يوجد فى النفوس الضيق والحرج إلا لفقدان الأنوار ، والمؤمنون ليسوا كذلك؛ لأن نور الإيمان يملأ قلوبهم ، فتتسع وتنشرح بنور الله عز وجل الواسع العليم، وتمتد بوجود فضله العظيم ، فتتهيأ لِوَارِدَاتِ أحكامه ، وتفوض إليه فى نقضه وإبرامه .

الحب لله :

كان الصحابة رضوان الله عليهم من أقوى الذين شغفوا برسول الله ﷺ إيمانًا وحُبًّا ، كانوا لا صَبْرَ لهم إذا لم يشهدوا محياه ، ولا تطيب نفوسهم إذا لم تكتحل عيونهم برؤيته لشدة شغفهم به ومحبتهم إياه .

ها هو ذا ثوبان ، مولى رسول الله ﷺ، وكان شديدَ الحُبِّ للرسول ، قليل الصبر عنه ، أتى رسولَ الله ذات يوم وقد تَغَيَّرَ لونه ، فقال له رسول الله ﷺ : ما غير لونك ؟ فقال : يا رسول الله مابى مَرَضٌ ولا وَجَع ، غير أنى إذا لم أرَكَ استوحشتُ وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرتُ الآخِرَةَ فأخاف ألاَّ أراك ، لأنك تُرْفَعُ مع النبيين ، وإنى إذا دخلتُ الجنة فأنا فى منزلة أدنى من منزلتك ، وإنْ لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

وها هو ذا زيد بن الدُّثُنَّةِ الذى آثَرَ محبة النبى ﷺ على محبته لنفسه ، فلما أخرج المشركون زيد بن الدُّثُنَّة من الحرم ليقتلوه بالتنعيم ، قال له أبو سفيان وهو يومئذ مشرك : أنشدك بالله يا زيد : أتحبُ أن محمدًا الآن عندنا مكانك تُضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ فقال له زيد : والله ما أحبُّ أن محمدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبُه شوكة وأنى جالسٌ فى أهلى .

فقال أبو سفيان : مارأيتُ أحدًا من الناس يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا .

وها هى ذى امرأة من الأنصار لما أُخبرت بقتل أبيها وأخيها وزوجها شهداءَ فى يوم أُحُد قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ (تسأل عن سلامته) قالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت أَرُونيهِ حتى أنظر إليه . فلما رأته قالت : « كُلُّ مصيبةٍ بعدَك جَلَل » أى : بعد سلامك هينة .

لذلك قال الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود رضى الله عنه :

« مَنْ كان متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا أَبَرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، وأقومها هَدْيًا ، وأحسنها حالاً . اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فَضْلَهُمْ ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » .

أيتها الأخت المسلمة :

إنكِ عندما تكونين زوجة فإنك تُشاركين فى صُنع مستقبل زوجك ، ويكون لَكِ الأثر المهم فى قيامه بدوره فى الحياة .

وإنكِ عندما تكونين أُمًّا تكونين حاضنة جيل ، ومربية نَشْءٍ يلوذُ بك الطفل ليُطْعَمَ ، ويحتمى بك ليأمن ، ويدرج حولك ، فأنت التى تصنعينه صالحًا أو طالحًا .

إنك تملكين مفتاح السعادة كما تملكين مفتاح الشقاء ، وإنها لَمسئُولية عظمى تجعلك فى رحاب فضل الله ورحمته .

وإنك لا تكونين مستحقة لرحمة الله تعالى إلا بالعمل ، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ .

إن الإيمان قول باللسان ، وتصديق بالجَنَان ، وعمل بالأركان ، وإن كان العبد يبلغ الجنة فبفضل الله تعالى وكرمه بعد أن يستعد بطاعته وعبادته وعمله ؛ لأن رحمة الله قريبٌ من المحسنين . فالله تعالى يقول لعباده يوم القيامة : « يا عبادِى ، ادخلوا الجنة برحمتى ، واقتسموها بأعمالكم » .

لقد أهلك الناس الأمانى : قول بلا عمل ، ومعرفة بغير صبر ، وإيمان بلا يقين ،

وهذه ليست أخلاق الإنسان المؤمن ، فإن أخلاق المؤمن قوة فى دين ، وإيمان فى يقين ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فى مساعدة من يحب ، المؤمن فى الصلاة خاشع ، وإلى الركوع مسارع ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، ولا يتعوذ بغير الله ، ولا يستعين إلا بالله ، وقور فى الملأ ، شكور فى الخلاء .

أيتها الأخت المسلمة :

تأملى فى قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ فعليك أن تبادرى إلى خلاف نفسك ، وتشمرى بمجاهدتها ، ولا تمتعيها بهواها .

وتأملى قوله ﷺ فى الحديث الشريف الذى كتبه ورواه العالم الفقيه أبو بكر بن جحدر الشبلى ، وقال عنه : قرأتُ أربعة آلافِ حديث ثم أخذتُ منها حديثًا واحدًا وعملتُ به وخليتُ ماسواه ؛ لأنى تأملته فوجدتُ خلاصى ونجاتى فيه ، وكأن علم الأولين والآخرين مندرجٌ فيه ، فاكتفيت به ، ذلك أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه : « اعملْ لدُنْيَاكَ بِقَدْر مُقامِكَ فيها ، واعمل لآخِرَتِكَ بقدر بقائك فيها ، واعمل لله بقدر حاجتك إليه ، واعمل للنَّار بقدر صبرك عليها » .

أيتها الأخت المسلمة :

ظن البعض أن شَرَفَهُ وَعِزَّه فى كثرة الأقوام والعشائر ، فاغتروا بهم ، وزعم الآخرون أنه فى كثرة الأموال وكثرة الأولاد ، فافتخروا بهم ، ولكن ظنهم وحسبانهم كله باطل زائل ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . فلا تختارى غير التقوى بديلا .

ولو تأملت قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

لَعَلِمْتِ وتيقنتِ أن القسمة كانت من الله تعالى فى الأزل ، ولرضيت بقسمة الله تعالى .

ولو تأملتِ قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .

لعلمت أن رزقك على الله تعالى ، وقد ضمنه ، فلتشتغل بعبادته ، ولتقطعى الطمع عَمَّنْ سواه .

ولو تأملت قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾

لتوكلتِ على الله وحده ، فهو حسبك ونعم الوكيل .

إن الإيمان الصادق هو توكل على الله ، وإخلاص الأعمال لله .

فالتوكل هو أن نستحكم اعتقادنا بالله تعالى فيما وعَدَ .

والإخلاص هو أن تكون أعمالنا كلها لله تعالى ، ولا تَركَن نفوسنا إلى محامدِ الناس ولا نبالى بذمهم .

أيتها الأخت المسلمة :

لقد كان أبونا آدم وأمنا حواء ينعمان بطمأنينة النفس ، وراحة البال وهدوء الضمير، ثم كانت الخطيئة بعد أن وسوس لهما الشيطان ، وكان هذا أول نجاح لإبليس فى عالم الإنسان ، وأخذ آدم يجرى هنا وهناك ويسمع النداء الإلٰـهى : أفرارًا مِنى يا آدم ؟

فيقول آدم فى خجل وحزن : « بل حياءً منكَ يارب » .

لقد شقى آدم بالمعصية ، وكذلك يشقى كل عاصٍ بسبب ما اقترف من الإثم ، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« والذى نفسى بيده ، ما من خَدْشٍ ، ولا عَثْرَةِ قدمٍ ، ولا اختلاج عِرْق ، إلا بذنب ، وما يغفر الله عنه أكثر » .

ويقول ﷺ أيضًا :

« لا يصيب عبد نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب ، وما يغفر الله عنه أكثر » .

ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾

لقد لجأ آدم إلى الله مستغفرًا نادمًا ، ومنيبًا ، فلما كان ذلك تاب الله عليه ، حيث يقول تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

وقد قال مجاهد : إن الكلمات التى توجه بها آدم إلى الله عز وجل هى :

« اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، ربى إنى ظلمت نفسى ، فاغفر لى فأنت خير الراحمين . اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، ربى إنى ظلمت نفسى فتب على ، إنك أنت التواب الرحيم » .

وكانت النتيجة لتوبة آدم والتجائه إلى الله عز وجل أن : ﴿ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾

لذلك فإنه إذا كانت المعصية نكبة فإن النكبة الكبرى هى الاستمرار فى المعصية ، والإصرار عليها .

فعلينا أن نتوب إلى الله توبة خالصة نصوحًا نندم على ما فات ، ونبدأ حياة جديدة فى إطار الالتزام بكتاب الله وسُنة رسول الله ، فنعيش فى طمأنينة نفس ، وراحة بال ، وهدوء ضمير ، ونسعد فى حياتنا الدنيا والآخرة .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾

أيتها الأخت المسلمة :

قد تكون مرت عليكِ سنوات طويلة ماضية وأنتِ فى غفلة عن أحكام دينك ، فى غفلةٍ عَمَّا نَهَى الله عنه وعَمَّا أمر الله به ، ولكن لا تيئسى من رحمة الله ، فلا ييئس من رحمة الله إلا القوم الكافرون .

أيتها الأخت المسلمة :

الآن وقد فرغت من قراءة ما جاء بهذا الكتاب أذكرك بقول حجة الإسلام الإمام

الغزالى رحمه الله لأحد تلاميذه : « إن النصيحة سهل ، ولكن المشكلة قبولها » . وقول أحد الحكماء : « ليست المشكلة فى وصف الواقع وحُسن تصويره ، ولكن البراعة فى تغييره إلى ما هو أفضل » .

أيتها الأخت المسلمة :

لاشك أن العبادات بكليتها ، والأذكار والأوراد بجملتها ، وتلاوة القرآن الكريم وتدبره فى آناء الليل وأطراف النهار ، واستشعار العظمة الإلهية فى كل الظروف والأحوال ، والإيقان بالموت وما بعده ، والإيمان بعذاب القبر وسؤال الملكين ، والاعتقاد بعوالم الآخرة ، وأهوال يوم القيامة ـ كل ذلك يولد فى المؤمن استمرارية المراقبة لله عز وجل ، ويجعل فيه الإنسان المستقيم المتوازن الذى يبنى توازنه فى الحياة على التوفيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، فيؤدى إلى كل ذى حق حقه بلا إهمال ولا تقصير ، وشعاره فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إنَّ لله عليك حقًّا ، ولنفسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، فأعطِ كل ذى حق حقه»

ومن الأمور المُسَلَّمَة أن الفرد المؤمن حين يقوى فى نفسه جانب المراقبة لله عز وجل ، وحين تتولد لديه الإرادة الذاتية للسيطرة على النفس الأمَّارة بالسوء ، ونزعات الهوى ـ فإن هذا الفرد ينصلح من داخله ، ويقيم لأموره ميزانًا من عقيدته وضميره . فلا يضل ولا يفسق ، ولا ينحرف ولا يشقى ، لاعتقاده الجازم أن عين الله الساهرة تراقبه وتراه ، وتعلم سره ونجواه ، وتعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

كُلِّى ثقة ويقين أنكِ ستلتزمين بكل ما يرضى الله عز وجل ، ويرضى رسوله ﷺ . بعد ذلك ؛ فإنك مُطَالَبة بعدم الوقوف عند مرحلة الالتزام الشخصى ، بل عليكِ أن تنطلقى إلى إقناع مَنْ حولك . فلكى تكونى على مستوى المسئولية ينبغى أن تكونى مجاهدة فى سبيل الدعوة وموجهة للإنسان نحو الالتزام بما جاء بكتاب الله وسنة رسوله .

يجب أن تأمرى بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقيمى حدود الله فى الأرض ، وإنك لا تكونين مستعدة لرحمة الله تعالى إلا بالعمل . ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

ونقطة البداية هى حث الناس على تغيير أنفسهم من الداخل عن طريق نقدها ومحاسبتها وجهادها المستمر .

فالأساس إذًا هو تغيير النفس البشرية .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

إن المرأة المسلمة لا تكتفى بأن تعرف الحق ، ولا تكتفى بالوقوف إلى جانب الحق وإثبات الولاء له ، والالتزام له ، ولكنها مطالبة دائمًا بالعمل على إقناع غيرها به ، وضمهم إليه .

ولتكن وسيلتك إلى ذلك الحكمة والموعظة الحسنة ، والصدر الرحب ، والفكر المستنير ، والتسامح مع الآخرين .

لقد بقى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عامًا فى مكة يعالج تلك النفوس الملتوية فى صبر وتدرج ، بدون تعجل للنتائج .

وبقى نوح عليه السلام يدعو ألف سنة إلا خمسين عامًا .

وكذا كثير من الأنبياء .

إن تغيير النفس البشرية من أصعب الأمور ، ولكنه خير ما فى الوجود من أعمال .
وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

أيتها الأخت المسلمة :

قد تتحدثين إلى بعض الفتيات المسلمات اللاتى يفكرن فى أنفسهن ، وفيما يمكن أن يعود عليهن . فقد قال أهل مكة لرسول الله ﷺ : « فماذا لنا إنْ نحنُ تابعناك على هذا الأمر ؟ » . فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : « إنْ صدقتُم الله فلكم الجنة ، ولا أملك لكم شيئًا » .

واعلمى أن نفوس الآخرين بالنسبة لك كالكهوف المجهولة ، ولابد من الكشف عن بعض دروبها ومعرفة مكنوناتها من خيرٍ أو شر .

فعليك أن تتبينى طبيعة الأرض قبل أن تحرثى فيها حرثًا ، أو تبذرى فيها بذرًا ، فقد يكون تَرْكُ بعض الحقول أجْدَى من العمل فيها .

قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ .

وقال عز وجل أيضًا : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾

إن تحويل طاقات البشر إلى الاتجاهات الخيرة أمرٌ بالغ الصعوبة ؛ لأن النفس بفطرتها تنزع إلى الجوانب الأخرى .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ .

لذلك فعليك بالإضافة إلى التسلح بالعلم أن تتسلحى بقوة العزيمة والإخلاص ، وأن تتحلى باللِّين والصبر .

وبعد ذلك لا ينبغى لك أن تنشغلى بالحرص على نتيجة ما . فالدعوة لله ، والله غنى عن العالمين .

فقد قال ﷺ لأشراف قريش :

« ماجئتُ بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا المُلْكَ عليكم ، ولكن الله يعثنى إليكم رسولا ، وأنزل علىَّ كتابًا ، أمرنى أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبلغتكم رسالة ربى ، ونصحتُ لكم ، فإنْ تقبلوا ما جئتُكم به فهو حَظُّكُم فى الدنيا والآخرة ، وإنْ تَرُدُّوهُ علىَّ أصْبِرْ لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم » .

أيتها الأخت المسلمة :

إنه لابد من الاقتناع قبل الإقناع ، ولابد من الإخلاص قبل العمل .

رُوِىَ أنَّ الحَسَن بن علىٍّ رضى الله عنه سمع خطيبًا فلم يعجبه ، ولم يتأثر به ، فقال له : يا هذا ، إن بقلبك سوءًا أو بقلبى !

وعندما كلف الله موسى عليه السلام بدعوة فرعون وقومه ، سأل موسى ربه جل وعلا أشياء تعينه على تلك المهمة الشاقة :

سألَ الله أن يشرح صدره لأداء الرسالة : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ .

وسأل الله تيسيرَ الأمر ، وتذليل العقبات : ﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾ .

وسأل الله أن يحل عقدة لسانه ويرزقه الكلمة المؤثرة .

﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى * يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾

وسأل الله رفيقًا ومساعدًا من أهله تتوافر فيه الثقة والأمانة :

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى * هَٰرُونَ أَخِى * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾

وأوضح لله عز وجل أنه مؤمن به راغب فى رضاه :

﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾

وأوضح موسى كذلك أنه موقن باطلاع الله على خفايا النفوس ، وأنه لابد من الإخلاص وحسن الانقياد : ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ .

فلا تقنطى أيتها الأخت المسلمة من رحمة الله ، فلا يقنط من رحمة ربه إلاَّ كُلُّ ضالٍّ شقى .

ولا تفقدى الأمل فى إصلاح الغير ، ولا تَدَعِى اليأسَ يتسرب إلى قلبكِ ، والسلبية تسيطر على أحاسيسك ومشاعرك .

فكثيرًا ما يُرَدِّدُ البعض بغير علم ولا فهم قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾

فقد روى أبو داود والترمذى عن قيس قال :

خطَبَنَا أبو بكر رضى الله عنه فقال :

إنكم تقرءون هذه الآية تتأولونها على غير تأويلها ، وهى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾

وإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

« إن الناس إذَا رَأَوُا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشَكَ أن يَعُمَّهُمُ الله بعذابٍ من عنده » .

وروى أبو داود والترمذى عن أبى أمية الشعبانى قال :

أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له : كيف تصنع بهذه الآية ؟

قال : أية آية ؟

قلت : قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾

قال : أما والله لقد سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال :

« بل ائتمروا بالمعروف ، وتَناهَوْا عن المنكر ، حتى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا ، وهَوًى مُتَّبعًا ، ودُنيا مؤثرة ، وإعجابَ كل ذي رأيٍ برأيه فعليك بخاصَّةِ نفسك ، ودَعْ عنك أمر العامة ، فإن من ورائكم أيامًا الصَّبْرُ فيهن مثل القبض على الجمر ، للعاملِ مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم » . صدق رسول الله ﷺ .

ولتعلمى أيتها الأخت المسلمة أن الناس فى حاجة إلى كنفٍ رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم . فى حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ، ويجدون عنده دائمًا الاهتمام والرعاية ، والعطف والسماحة ، والود والرضا .

وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ ، وهكذا كانت حياته مع الناس ، ما غضب لنفسه قط ، ولا ضاق صدره بضعفهم البشرى ، ووسعهم حلمه وبره ، وعطفه ووده الكريم ، ونفسه الكبيرة الرحيبة ، وقلبه المملوء بالحب والرحمة .

إن القرآن الكريم يوضح لنا أن الهدف الأسمى من خلق الإنسان هو فى التوجه الكلى إلى الله ، والتلقى عنه ، وعبادته سبحانه وتعالى .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

فعلينا أن نربط وجودنا كله وحياتنا كلها بعقيدتنا .

أما أن تبقى القطيعة بيننا وبين الله ، أو بيننا وبين دين الله ، أو بيننا وبين سُنة وهَدْيِ رسول الله ، فلن نكون إلا فى حضارة الجاهلية المادية الملحدة .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

فالمسلم الحق هو من سَلَّمَ زمامَ أمْرِهِ لله تعالى .

وإذا سلم زمام أمره لله سَلِمَت العقيدة .

وإذا سلمت العقيدة سلم ينبوع السلوك الإنسانى كله .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

وسبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصَلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

المراجـــع

أولا : من أمهات كتب التفسير :

١ ـ جامع البيان عن تفسير القرآن للإمام محمد بن جرير الطبرى .

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن للإمام أبى عبدالله بن أحمد القرطبى .

٣ ـ حقائق التفسير للإمام محمد بن الحسين أبى عبد الرحمن السلمى .

٤ ـ تفسير القرآن للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى .

٥ ـ فضائل القرآن للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى .

٦ ـ تفسير الثورى للإمام سفيان بن سعيد الثورى .

٧ ـ تفسير ابن كثير
تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى .

٨ ـ تفسير القرآن للإمام الشيخ محمد عبده .

٩ ـ تفسير المنار للسيد : محمد رشيد رضا .

١٠ ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .

١١ ـ أحكام القرآن للقاضى ابن العربى المالكى .

١٢ ـ تفسير أبى حيان التوحيدى

١٣ ـ تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل . للإمام محمود بن عمر الزمخشرى الملقب بجار الله الزمخشرى .

١٤ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم للعلامة أبى الفضل شهاب الدين الألوسى .

ثانيا : من أمهات كتب الحديث :

١ ـ صحيح البخارى للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى .

٢ ـ صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم .

٣ ـ صحيح ابن حبان للإمام أبى حاتم محمد بن حبان .

٤ ـ المسند للإمام أبى عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل .

٥ ـ الجامع والعلل	للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى .
٦ ـ المستدرك على الصحيحين	للإمام أبى عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابورى .
٧ ـ تصانيف الطبرانى المعاجم الثلاثة : الكبير ، والأوسط ، والصغير	للإمام أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى .
٨ ـ السنن الكبير والسنن الصغير	للإمام أبى بكر بن الحسين بن على بن عبدالله بن موسى البيهقى .
٩ ـ السنن لابن ماجه	للإمام أبى عبدالله محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه القزوينى .
١٠ ـ السنن للدارقطنى	للإمام أبى الحسن على بن عمر بن أحمد البغدادى الدار قطنى .
١١ ـ السنن للنسائى	للإمام أبى عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن سنان النسائى .
١٢ ـ السنن لأبى داود	للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدى .
١٣ ـ مسند الفردوس	للإمام أبى منصور الديلمى .
١٤ ـ مسند الشهاب	للقضاعى .

ثالثا : من أمهات كتب التراث :

١ ـ الدين الخالص	لفضيلة المرحوم الشيخ محمود خطاب السبكى .
٢ ـ المنهل العذب المورود فى شرح سنن أبى داود	لفضيلة المرحوم الشيخ محمود خطاب السبكى
٣ ـ الفتاوى الأمينية	لفضيلة المرحوم الشيخ محمود خطاب سعيد السبكى .
٤ ـ منتقى الأخيار بشرح نيل الأوطار .	
٥ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة	لابن حجر العسقلانى
أسد الغابة فى معرفة الصحابة	لابن الأثير .

٦ ـ فتح البارى ، شرح البخارى	لابن حجر العسقلانى .
٧ ـ الطبقات الكبرى	لابن سعد .
٨ ـ المغنى عن حمل الأسفار	للعراقى .
٩ ـ إحياء علوم الدين	لحجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى .
١٠ ـ المقاصد الحسنة	للسخاوى .
١١ ـ المغنى	لابن قدامة الحنبلى
١٢ فتح القدير	لابن الهمام الحنفى
١٣ ـ المحلى	لابن حزم
١٤ ـ المجموع فى مذهب الشافعية	للنووى
١٥ ـ الموطأ	للإمام مالك
١٦ ـ زاد المسلم	للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى
١٧ ـ المنتقى شرح الباجى على الموطأ .	
١٨ ـ نزهة المتقين فى شرح رياض الصالحين .	للإمام الحافظ النووى .
١٩ ـ البحر المحيط	لأبى حيان .
٢٠ ـ إغاثة اللهفان	للإمام شمس الدين أبى عبدالله . ابن القيم الجوزية .
٢١ مجمع الأمثال	للميدانى .
٢٢ ـ بلوغ الأرب	للألوسى .
٢٣ ـ بلوغ الأرب	للنويرى .
٢٤ ـ أدب الدنيا والدين	للإمام الماوردى .
٢٥ ـ الأحكام السلطانية	للإمام الماوردى .
٢٦ ـ السير الكبير	للإمام محمد بن حسن الشيبانى أملاه السرخس
٢٧ ـ دلائل النبوة	للإمام الحافظ أبى بكر البيهقى
٢٨ ـ السيرة النبوية	للإمام محمد بن إسحاق
٢٩ ـ السيرة النبوية	لابن هشام
٣٠ ـ حياة محمد	محمد حسين هيكل

٣١ ـ جوامع السيرة للإمام ابن حزم
٣٢ ـ زاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام شمس الدين بن القيم الجوزية
٣٣ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام شمس الدين بن القيم الجوزية .
٣٤ ـ البداية والنهاية للإمام إسماعيل بن كثير .
٢٥ ـ حلية الأولياء أبو نعيم الأصفهانى .
٣٦ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .
٣٧ ـ بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للعلامة الكاشانى .
٣٨ ـ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى .
٣٩ ـ تاريخ الطبرى لابن جرير الطبرى .

رابعًا : من المؤلفات والدراسات الحديثة :

١ ـ فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى .
٢ ـ الحجاب أبو الأعلى المودودى .
٣ ـ أنت تسأل والإسلام يجيب للشيخ عبد اللطيف المشتهرى .
٤ ـ شبهات حول الإسلام لمحمد قطب .
٥ ـ المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء للشيخ محمد الشعراوى .
٦ ـ المرأة كما أرادها الله للشيخ محمد متولى الشعراوى .
٧ ـ المرأة فى التصور الإسلامى للأستاذ عبد المتعال الجبرى .
٨ ـ المرأة فى القرآن للشيخ محمود شلتوت .
٩ ـ المرأة بين الفقه والقانون دكتور مصطفى السباعى .
١٠ ـ المرأة بين الدين والمجتمع دكتور زيدان عبد الباقى .
١١ ـ الإسلام والمرأة المعاصرة الأستاذ البهى الخولى .
١٢ ـ فى رحاب الكون مع الأنبياء والرسل الدكتور عبد الحليم محمود .
١٣ ـ الوحى المحمدى للسيد محمد رشيد رضا . .
١٤ ـ حق الزوج على زوجته الشيخ طه عبدالله العفيفى .
١٥ ـ الأسرة الإسلامية دكتور إبراهيم اللبان .
١٦ ـ نشرات الدين والحياة المكتب الفنى ـ وزارة الأوقاف ـ مصر .
اختلاط الجنسين عند العرب دكتور محمد سلام زناتى .

١٧ ـ حجاب المرأة المسلمة	محمد ناصر الدين الألبانى .
١٨ ـ بنات النبى عليه الصلاة والسلام	دكتورة بنت الشاطىء
١٩ ـ المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية	للشيخ محمد حسنين مخلوف شيخ الأزهر الأسبق .
٢٠ ـ مجموعة فتاوى	لفضيلة الشيخ الطاهر الزاوى مفتى ليبيا .
٢١ ـ مجموعة فتاوى	للشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى مصر الأسبق .
٢٢ ـ التعريف بالفقه الإسلامى	للشيخ محمد مصطفى شلبى .
٢٣ ـ مبادىء نظام الحكم فى الإسلام	دكتور عبد الحميد متولى .
٢٤ ـ الموسوعة الثقافية	دكتور حسين سعيد .
٢٥ ـ تاريخ الأمة العربية	دكتور عبد الفتاح شحاتة .
٢٦ ـ مبادىء القانون الرومانى	دكتور محمد عبد المنعم بدر .
	دكتور عبد المنعم البدارى .
٢٧ ـ حضارة العرب	دكتور جوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر .
٢٨ ـ حضارة الهند	ول . ديورانت ـ ترجمة دكتور زكى نجيب محمود .
٢٩ ـ حضارة اليونان	ول . ديورانت ـ ترجمة الأستاذ محمد بدران .
٣٠ ـ محاضرات لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى بجامعة القاهرة .	
٣١ ـ محاضرات لفضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى بالجمعية الشرعية بالقاهرة .	
٣٢ ـ محاضرات لفضيلة المرحوم دكتور عبد الحليم محمود بإذاعة القرآن الكريم بالقاهرة .	
٣٣ ـ تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات	دكتور عبد الحليم عويس ومصطفى مشهور .
٣٤ ـ فتاوى لفضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلى مفتى سلطنة عمان .	
٣٥ ـ مجموعة فتاوى ـ لجنة الفتوى بالأزهر.	

٣٦ ـ تأملات فى سورة الكهف	للشيخ أبى الحسن الندوى .
٣٧ ـ نحو الدستور الإسلامى	للعلامة أبى الأعلى المودودى .
٣٨ ـ فقه العبادات على المذهب الشافعى	الحاجة درية العيطة .
٣٩ ـ الحلال والحرام فى الإسلام	دكتور يوسف القرضاوى .
٤٠ ـ الإسلام عقيدة وشريعة	للشيخ محمود شلتوت .
٤١ ـ سيكلوجية الجنس	دكتور يوسف مراد .
٤٢ ـ علم النفس الصناعى	دكتور أحمد عزت راجح .
٤٣ ـ الإنسان ذلك المجهول	الكسيس كاريل .
٤٤ ـ المرأة إلى أين تتجه	برنارد شو .
٤٥ ـ البيت مملكة المرأة بلا منازع	فيليس ماكجنلى .
٤٦ ـ تربية المرأة والحجاب	المرحوم محمد طلعت حرب .
٤٧ ـ هل نحن مسلمون ؟	محمد قطب .
٤٨ ـ الأحكام الأساسية للأسرة الإسلامية فى الفقه والقانون	دكتور زكريا البرى .
٤٩ ـ فتاوى الإمام عبد الحليم محمود	. للإمام عبد الحليم محمود .
٥٠ ـ رأى الدين بين السائل والمجيب	دكتور محمد البهى .
٥١ ـ الفتاوى	الشيخ محمود شلتوت .
٥٢ ـ ابن حزم	للشيخ محمد أبى زهرة .
٥٣ ـ حقوق الإنسان فى الإسلام	دكتور على عبد الواحد وافى .
٥٤ ـ الدعوة إلى الإسلام	للسير ايرنولد .
٥٥ ـ منهج الإصلاح الإسلامى	الدكتور عبد الحليم محمود .
٥٦ ـ تنظيم الإسلام للمجتمع	الشيخ محمد أبو زهرة .
٥٧ ـ الإسلام وأوضاعه السياسية	الأستاذ عبد القادر عودة .
٥٨ ـ السنة	الدكتور مصطفى السباعى .
٥٩ ـ القرآن والنبى	الدكتور عبد الحليم محمود .

بالإضافة إلى عشرات الكتب والمراجع التى لا يتسع المجال لذكرها هنا ومذكورة فى نطاق الموضوع الخاص بها .